في مناقشة شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية

"الحريّة" تتراجع ولكن الموضوعيّة لا تزال تخونها

قضايا الثورة العربية

ان عجوم بشدو باستمرار على سلبيات شعار الدولة الديمقراطية الفلسطينية منذ طرحه بعض منظمات المقاومة، و تفسير شيئا فشيئا موجة الحوار بهذا الشعار الذي روجت له سرعة قبوله في الاوساط العربية والاجنبية غير ذات الصلة المباشرة بالعمل الفلسطيني قبل معلمها المعقدة العلمية الايجابية. واذا كانت بعض المنظمات لم تشغل بعد عنه فان التراجعات واضحة على عدد هذه المنظمات وان كانت تاتي عبادة ومعها سيل من التهم للفكر الذي تتنازل امامه، وشبه من العصبية المتاخرة، واحتلال لمواقع جديدة في الدفاع عن جوهره هذا الشعار.

وما كتبته «الحرية» يمثل في جملته، رغم كل ما جاء فيه من توتر وتجن، في باب الاتجاه الجديد للمناقشة.

لقد سجلت المقالات التي كتبها السيد محمد كشلي في مجلة «الحرية» للرد على مناقشة «الاحرار» لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية تقدما ملموسا في مجال توضيح هذا الشعار من قبل احدى الجهات التي طرحته واعلنت حملتها له على صفحات المجلات العربية والدولية، كما سجلت ولا شك تراجعا هاما من قبل هذه المجلة عن بعض الشروحات والتوضيحات التي قام بها بعض قادة الجبهة الشعبية الديمقراطية لمفهوم الدولة الديمقراطية لا سيما عن مقالة السيد نايف حواتمه في «اللوموند» والتي نشرت «الحرية» نصها المنقول بالثقة العربية قبل فترة.

■ لماذا تجاهل نايف حواتمه في كل مقالاته الحديث عن الدولة الفيدرالية العربية؟!..

■ إننا لم نعترض على الجانب الديمقراطي من شعار الدولة الفلسطينية وإنما على أفقه القطري

وسنكتفي هنا ان نعدد بعض ابرز هذه التراجعات:

١ ـ اكد السيد كشلي في مقالته ان طرح شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية لا يمكن ان يكون خارج اطار «الثورة الاشتراكية العربية» وان هذه «الثورة الاشتراكية العربية باطارها الاممي هي وحدها القادرة على تقديم هذه الامكانية الديمقراطية البروليتارية لحل المسألة اليهودية ... وان هذا هو المغزى العميق والصحيح لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية».

ان هذا التأكيد، الذي جاء منسجما مع ما سبق ان طرحته «الاحرار» وكتابات جبهة التحرير العربية، لا نجد له اثرا من قبل في كتابات الجبهة الشعبية الديمقراطية التي نصب نفسه مدافعا عنها.

ففي المقال الذي كتبه السيد نايف حواتمه في جريدة اللوموند الفرنسية والذي نشرت نصه بالعربية مجلة الحرية في عددها رقم ٤٩٧ الصادر في (١٢ ـ ١ ـ ٧٠) لا نجد اثرا لذكر الصلة بين هذا الحل وبين الثورة العربية الاشتراكية، بل على العكس نجد ان كل التوضيح الذي ادلى به السيد حواتمه ينحصر في ان هذا الحل محصور بالنطاق الفلسطيني وان نضاله يستهدف اقامة «دولة ديمقراطية شعبية على ارض كل فلسطين».

وفي مقالته التي نشرتها مجلة «ليكونتيننتال»، واعادت نشرها مجلة الحرية في عددها رقم ٤٩٨ الصادر بتاريخ (١٩ ـ ١ ـ ٧٠)، لا يتطرق السيد حواتمه الى الربط بين هذا الشعار وبين اطار الثورة العربية الاشتراكية. وانما يؤكد ان «الجبهة الديمقراطية تطرح حلا شعبيا وديمقراطيا للمسألة الفلسطينية ـ الاسرائيلية. وهو حل يستهدف ازالة دولة اسرائيل واقامة دولة ديمقراطية شعبية فلسطينية تتشكل من العرب واليهود ويكون النضال من كلا الطرفين في نظام اشتراكي يزيل كل اشكال الاستغلال والعنصرية. لذلك تناضل الجبهة من اجل دولة فلسطينية اشتراكية يتوفر فيها ضمان كافة الحقوق في ظل نظام مساواة مطلقة بين جميع المواطنين بعيدا عن كل الوان الشوفينية وفي ظل سياسة اممية بروليتارية».

الا ان السيد حواتمه هذه المرة لم يلبث ان يذكر وباسلوب الشاملي فصلا بان نضال الشعب الفلسطيني هو جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب العربية ومن الحركة الثورية العالمية، ودون ان يكلف نفسه عناء الاشارة الى الترجمة العملية لهذا الترابط والتأكيد، على نحو ما فعله السيد كشلي، في رده على «الاحرار» بأن الدولة الديمقراطية هي من ضمن «اطار الثورة العربية الاشتراكية».

ومن هذا التناقض الملحوظ بين طرح السيد حواتمه السابق للدولة الديمقراطية وبين طرح السيد كشلي الجديد نستطيع ان ندرك سبب التركيز عند السيد كشلي على ان الدولة الفلسطينية الديمقراطية هي جزء لا يتجزأ من دولة فيدرالية اشتراكية عربية مستشهدا بذلك بفقرة وردت في مشروع قرار قدمته الجبهة الديمقراطية الى المجلس الوطني في ايلول الماضي، بينما لا نجد اشارة من بعيد او قريب الى هذه الدولة الفيدرالية العربية في مقالات السيد حواتمه التوضيحية بعد اكثر من اربعة اشهر على انعقاد ذلك المجلس.

ورغم وجود اكثر من ملاحظة سنوردها في حينها، على هذا الربط الجامد بين الدولة الفلسطينية والدولة الفيدرالية العربية، الا ان اغفال السيد حواتمه من قبل لاية اشارة لهذا الموضوع لهو بحاجة الى توضيح لا تنفع فيها قرارات السيد كشلي قول مقالات منظر للجبهة الديمقراطية وقائدها الذي ارتبطت باسمه في النضال الجبهة.

٢ ـ في مجال عرضه للموقف الماركسي اللينيني من الصهيونية، تمسك السيد كشلي بموقف لينين من اليهود الذي رفض اعتبار اليهود امة، كما اشار السيد كشلي الى ان البوند وهو الاتحاد العام للعمال اليهود في العالم قد طرح شعار استقلال الثقافة القومية الذاتي لليهود مقابل الشعار اللينيني، حق الامم في تقرير المصير.

فاذا كان السيد كشلي يتبنى الموقف اللينيني ويرفض مواقف البوند، فكيف يمكن ان يفسر ورود عبارة، تطوير الثقافة الوطنية لليهود، واحترام طرائقهم الثقافي، لاكثر من مرة في كتابات الجبهة الديمقراطية.

فلقد قال السيد حواتمه في مقالته الشهيرة في مجلة «اللوموند» بأن الحل الديمقراطي يناضل من اجل، بناء دولة ديمقراطية شعبية، على ارض كل فلسطين يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق وواجبات متساوية مع حق كل منهم في تطوير ثقافته الوطنية بروح ديمقراطية تقدمية.

افل الثقافة الوطنية لليهود هنا غير الثقافة القومية التي طالب «البوند» العنصري باستقلالها الذاتي؟!

ثم هل اليهود ـ حسب هذا التعبير ـ هم غير امة ثانية تساكن العرب ارضا واحدة؟!

فاذا كان المقصود باليهود مجموعة دينية كان المطلوب من السيد حواتمه ان يقول، المسلمون والمسيحيون واليهود. ثم كان من المفروض الا يأتي على ذكر الثقافة الوطنية بل على ذكر الثقافة الدينية. اذا كان المقصود باليهود مجموعة قومية، الثقافة الوطنية، حق تقرير المصير مناقضا في ذلك الموقف اللينيني جملة وتفصيلا.

٣ ـ لا شك ان السيد كشلي في غمرة مناقشته للاحرار قد اضطر الى مزيد من التدقيق والتحديد فاضطر الى مناقشة كافة الحلول المطروحة لمستقبل فلسطين التي تميز بين الصهيونية واسرائيل واعتبره الحل الذي يدعو الى اتحاد فدرالي بين دولتين فلسطينية واسرائيل، ضمن كونفدرالية عربية، حلا مثاليا لانه يصطدم بتركيب المجتمع الصهيوني نفسه.

ولكن السيد كشلي نسي في غمرة اندفاعه في رفض هذه الحلول ان رفيقه السيد حواتمه قد اوضح في مقالته السابقة انه ليس المهم، الشكل الدستوري لهذه الدولة الفلسطينية الديمقراطية سواء كانت دولة واحدة او اتحادية على غرار يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ... مما يعني ان الحل الفدرالي الذي يدعو له اوري افنيري والذي يرفض صهيونية اسرائيل ليس حلا مثاليا كما يقول السيد كشلي بل هو حل محتمل وشكل دستوري لا اهمية للوقوف عنده كما يقول السيد حواتمه.

ان موقف كشلي الجديد هو اكثر توضيحا فاطن ان السيد حواتمه يكون حينها متناقضا مع الموقف اللينيني الذي يرفض اعتبار اليهود امة، الامر الذي لا اظن ان احدا من الجبهة الشعبية الديموقراطية يقبل به.

اما اذا كان المقصود بالثقافة الوطنية لليهود هي تلك الثقافة التي افرزتها العلاقات القائمة ضمن المجتمع الاسرائيلي منذ بداية الهجرة اليهودية الى فلسطين، حتى الان، فلا اظن احدا من الرفاق الماركسيين اللينينيين يخالفني بان هذه العلاقات هي علاقات استغلالية لصفية وبالتالي لا يمكن ان تفرز ثقافة غير عنصرية وشوفينية. ان تمسك السيد كشلي بالموقف اللينيني قد اتقذه بالطبع من تناقضات، كتابات الجبهة الديمقراطية لكنه ايضا شكل تراجعا عن المواقف السابقة لرفاقه في تلك الجبهة، غير ان سطحية هذا التمسك سرعان ما فضحته، فلم تمنعه من الانزلاق الى الاشارة في نهاية مقالته الى عبارات مثل الاقلية علمية وسلفية من موقف جوانب المسألة، ولذلك موقف جديد من جهة ... حرية اليه حاسمة للرد على «الاحرار» كما اعتقد:

أ ـ لقد اعترف السيد كشلي بان «الجبهة الشعبية الديمقراطية لا تملك ـ حتى الان ـ بحوثا نظرية معمقة حول المسألة اليهودية والمجتمع الاسرائيلي لذلك فانها لم تحدد بعد موقفا واضحا من المسألة الاسرائيلية (كذا!) اي من المستقبل المحدد لمصير الاسرائيليين بعد التحرير (حقوق الاقلية القومية، الثقافة الوطنية، التمثيل العربي ـ اليهودي، حق تقرير المصير)».

ونسي السيد كشلي من خلال اعجابه بجرأته على الاعتراف، ان رفاقه في الجبهة الشعبية الديمقراطية قد سطروا المقالات الطويلة من حلمهم، التقدمي والديمقراطي للمسألة الفلسطينية ـ والاسرائيلية، وان الحرية نفسها قد وضعت مقالة السيد حواتمه في «اللوموند» عنوانا يقول:

نحو حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية والمسألة الاسرائيلية.

فكيف يقبل السيد كشلي ان تطرح الجبهة الشعبية الديمقراطية حلا للمسألة الاسرائيلية دون ان تمتلك، البحوث النظرية المعمقة حول المسألة اليهودية والمجتمع الاسرائيلي، ودون ان تحدد موقفا واضحا من المسألة الاسرائيلية.

الا يشاركني السيد كشلي الاعتقاد ان مثل هذه الحلول هي التي تتسم عادة بالطفيلية، والخفة، والاسلوب التسلطي؟.

على ان هذا التقدم في توضيح الشعار من قبل السيد كشلي في اطار الملاحظات الاربع التي اوردناها سابقا لا سلسلة التراجعات والاعترافات التي حفلت بها مقالاته التي اراد بها الرد على «الاحرار» لا يعني ان الموضوع قد انتهى، وان الاتفاق قد حصل، وان المشكلة قد حلت، بل على العكس لا بد من تسجيل بعض المغالطات التي اتسمت بها مقالات السيد كشلي حتى لا يلتبس الاقتراب الشكلي من الفهم الثوري للامور بانه اقتراب حقيقي.

لقد خانت الموضوعية السيد محمد كشلي مرارا في المقالتين اللتين كتبهما، ولم تنجده فيها لا استشهاداته المكرورة بلينين ولا التوجه المستمر بالتعابير العلمية بعد ان افرغها من اي مضمون علمي محدد.

وظاهرة الابتعاد عن الموضوعية هي ظاهرة ملازمة لكل كاتب يحمل في ذهنه افكارا او نتائج مسبقة يحاول فرضها او الوصول اليها لمركزه في ذلك مصلحة ذاتية، او انفعال من تجربة معينة، او تعميم لوضع خاص، اي باختصار يحركه في كل ذلك فقدان الحد الادنى من الحرية والنزاهة الفكرية الضروريتين كي تحليل علمي صحيح.

اولا: ففي محاولته توجيه اصبع الاتهام نحو «الاحرار» يحاول السيد كشلي ان يصور اعتراض «الاحرار» على شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية وكأنه اعتراض على الجانب الديمقراطي من الشعار برغم ان السيد كشلي يدرك قبل غيره مقدار التجني في هذا الكلام على حقيقة ما طرحته مقالات «الاحرار» ونشرات جبهة التحرير العربية. بل يدرك قبل غيره ان الاعتراض هو على استبدال الافق الوحدوي لمسيرة التحرير بافق قطري عاجز عن اقامة الوضع الديمقراطي الحقيقي في فلسطين.

ولنعد مع السيد كشلي الى مقالات «الاحرار» التي كانت محور الرد في مقالتيه فماذا نجد ؟!

في المقالة الاولى التي نشرتها «الاحرار» نقرأ:

«ان عروبة فلسطين بمفهومها القومي التقدمي هي الضمان الوحيد لقيام وضع ديمقراطي صحيح يكفل لجميع سكانه الى اية طائفة انتموا الحق في حياة حرة كريمة متساوية».

كما نجد في المقالة ذاتها التأكيد على ان هذه «الديمقراطية» داخل الدولة الفلسطينية وحدها ستتحول، الى نوع من التعايش بين الطوائف سيكون اشد خطرا في فلسطين منه في لبنان لانها ستكون ليس فقط خلافا للتحصن الطائفي بل وايضا للتعصب القومي».

وفي المقالة الثالثة التي نشرتها «الاحرار» مزيد من الرفض لفكرة الدولة لان هذه الدولة لا تستطيع ان تكون ديمقراطية او حتى فلسطينية وانما لا نريد ان نكرر في فلسطين مأساة الاستقلالات القطرية الشكلية التي حصلت عليها بعض الاقطار العربية كتونس مثلا حيث خرج الاستعمار من باب تمثله مصالحه وشركاته واحتكاراته من جميع الابواب ولينصرف هذا الاستقلال عن تحوره الطبيعي تجاه الوحدة وينكب الى انعزالية قطرية مفرطة ومملة للاستعمار واعداء الامة العربية.

وقبل مقالات «الاحرار» ركزت جبهة التحرير العربية نقدها على الجانب القطري الضيق من هذا الشعار في اكثر من محل ومناسبة، كما اكدت مضمونها الانساني والديمقراطي في النظرة الى اليهود.

ففي ٢ تشرين الثاني ١٩٦٩، وفي حديث ممثل جبهة التحرير العربية الذي القاه في الجامعة الاردنية في عمان والذي نشرته «الاحرار» بعد ذلك اشارة واضحة الى هذا الامر حين يقول:

«ان خطورة التسك بالنظرة القطرية الضيقة لا ينحصر فقط في اثرها على الحاضر، بل على المستقبل ايضا. فمثل هذه النظرة القطرية حين تضع نفسها على المستقبل تخرج بمشاريع تتعارض مع التغيير العلمي لحركة التحرير.

ان شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية المطروح حاليا للتدليل على الطبيعة الانسانية العادلة لكفاحنا التحرري هو في الحقيقة ابن شرعي للعقلية القطرية الفلسطينية.

فهذه العقلية تصر على التصور بأن فلسطين بعد التحرير ستكون دولة خامسة عشر او سادسة عشر من دول الجامعة العربية بينما منطق الامور وحتمية التطور ومسار التحرير كلها تشير الى ان فلسطين المحررة لن تكون الا جزءا من الثورة العربية الوحدوية الاشتراكية وبالتالي جزءا من دولة عربية واحدة لا بد ان تقوم بعد الحرب الشعبية الاقطار او بعضها سنوات كنتيجة حتمية للظروف التي تتطلبها مسيرة التحرير.

وفي الثورة العربية الوحدوية الاشتراكية بمضمونها الانساني لا تطرح مشكلة عنصرية تثار طبيعيا، اذ عندها تستطيع الامة العربية ان تستوعب مما على مفهوم حد اخطار الثورة وتناقضهم كسائر الاقليات القومية والدينية الموجودة فيها.

اما محاولة حل مشكلة اليهود من خلال دولة فلسطينية محلية فيعني اصحاب الاقتراح في دولة ليس اوسع مناطقها سيتخذ الراسمة لسد قواعد تحمي المرتبة منذ الغزو وحده.

ان هذا الشعار الضيق والخطر ايضا هو وليد العقلية القطرية التي تصر على ان تمد الى المستقبل.

كذلك اوضحت مجلة «الثائر العربي» الجريدة الداخلية لجبهة التحرير العربية في عددها الصادر في اواسط كانون الاول ١٩٦٩ رفض الجبهة الجانب القطري من الشعار لا الجانب الديمقراطي:

«ان الوحدة العربية ذات المضمون الاشتراكي الديمقراطي هي صلة العرب الحقيقية بالانسانية. فالعرب الوحدويون هم الاكثر قدرة على وضع الحلول الانسانية للمشاكل العنصرية. وكما لحقت الشعب العربي من وحدته القدرة على الانسانية بشكل الغني والخصب.

اما التطرفات العربية فهي مسرح العنصرية في موقفين لا ثالث لهما، فهي اما شوفينية متشنجة تتخذ من التعصب والتقتيل سبيلا لحماية كرامة شعب لو طرحة طوباوية توهم نفسها بان التسويات العنصرية هي الحلول الانسانية السليمة.

ان فلسطين ما بعد التحرير لا تقوم الا على انقاض التجزئة والاستعمار والاستغلال والتخلف، ولهذا لا يمكن ان تكون «دولة» جديدة في المنطقة بل جزءا من دولة للثورة العربية الوحدوية الاشتراكية».

وتأكيد لاحترام الجبهة للجانب الديمقراطي من الشعار فقد ذكرت مجلة «الثائر العربي» قبل خمسة اشهر:

«ولكن الحديث عن وضع ديمقراطي في فلسطين ما بعد التحرير لا عن دولة ديمقراطية فيها تكون قد انتقصنا لامتنا ولرسالتنا والتاريخ».

ولا اظن ان السيد محمد كشلي كان بعيدا عن الندوة التي اقامها ملحق النوار لممثلي المنظمات الفدائية لمناقشة شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية في العدد رقم ٣٣٥٩ بتاريخ ٨ اذار ١٩٧٠ حيث قال ممثل جبهة التحرير العربية بكل وضوح:

«ان نقدنا للشعار ليس موجها ضد الجانب الديمقراطي فيه وانما هو موجه بالدرجة الاولى الى «دولة» فلسطين التي يتضمنها الشعار وان قناعتنا ان اية دولة في فلسطين لا يمكن ان تكون ديمقراطية امة حقيقية كاملة من كان الذي يلوعنا في ظروف التجزئة العربية والتفرق والتخلف

الحرية تتراجع ... ولكن الموضوعية لاتزال تحوزها!

الاستعمار في المنطقة هي ما هو عليه ».

« والصهيونية الحليفة الحليفة الكاملة لكل مخططاته الاستعمارية التي تعمل في الوطن العربي هي تحقيق الجهد الشعبي الاشتراكي الوحدوي في الوطن العربي كله، اي بتنظيم الثورة العربية ».

وفي البيان السياسي لجبهة التحرير العربية نجد بوضوح النظرة القومية التقدمية السليمة للمسألة اليهودية، البعيدة كل البعد عن شوائب الشوفينية والتعصب العنصري. يقول البيان :

« كما ان الصفة الاشتراكية والشعبية لهذا الكفاح، والكفاح الشعبي المسلح تكشف عن مطامع الصهيونية والاستعمارية في خداع الشعوب وتصوير اسرائيل كدولة يراد لها ان تكون ملجأ لشعب مضطهد وشعب راق متقدم، وتكشف الحقيقة العنصرية الاستعمارية لاسرائيل امام كل ضمير حر في العالم، بل ترفع عن اليهود انفسهم سيطرة الحركة الصهيونية وتظهر لهم حقيقة القضية العربية وعدالتها ».

ان جميع هذه الفقرات تدل على مدى التجني الذي حاول السيد كشلي الاقدام عليه بحق مجلة « الاحرار » حين حاول اتهامها بوضع الديماغوجية بوجه العروبة في حين كان عليه ان يقول انها وضعت العروبة كضمان فعلي لوجوه استمرار الديمقراطية.

اما الناحية الثالثة التي تجلت فيها لا موضوعية السيد كشلي في مقالاته، فهي اجتراره، المتواصل لتعبير « ممثلي الفكر القومي البورجوازي الصغير » دون ان يحدد بدقة ماهية هذا الفكر، وكيفية انطباق اتهاماته على الواقع. معتقدا انه قادر على ان يظهر انعطاف المتصلين بتعابيره الطبقية هذه ضمن خطة قيمية تتبعها مجلة « الحرية » . وهي خطة ابتزاز الجهل عند بعض الذين لم يتمكنوا بعد من التحقق بمعلومات مستمرة حول « الحرية » في الانتماءات الماركسية اللينينية.

فالفكر القومي البورجوازي الصغير بجانبه علنة يتكرر للسيد كشلي، اي موقف لامي صحيح من التعصب القومي والشوفينية المفتعلة بالصفاء القومي والانسانية ».

« والفكر القومي البورجوازي الصغير يتميز عادة بالثقافة والخطابية، الشعارات العامة، العموميات، الهروب من التحديد والتدقيق في المواقف ».

كل هذه التهم، المتصلة بأن تلتقي اية واحدة منها حركة سياسية بأكملها، لم نجد عند السيد كشلي اساسا واحدا يدعمها، ولا دليلا واحدا يؤكد صحتها وهو الحزم بالاستشهادات والمراجع كما

تكتمة في مقالاته.

ان سبب هذه التهم ولا شك هو تحامل السيد كشلي بتجربته الفكرية داخل حركة القوميين العرب، حيث كان يردد شعارات « ثار، ويحلف شتم والتجنيد والثار » حتى اواسط الستينات.

فالسيد كشلي يتحقق من ان الفكر القومي السابق هو فكر بورجوازي صغير، وربما كان فكر « الاحرار » هو فكر قومي، فلا بد اذن ان يكون هذا الفكر بورجوازيا صغيرا على نحو ما كان فكر السيد كشلي. ولما كان هذا الفكر بورجوازيا صغيرا فلا بد اذن ان يتسم بكل هذه الصفات.

ان هذا الانفعال بتجربة حية، والتصميم لوضع ملخصهما مشهران من مظاهر الذاتية التي اتهم بها السيد كشلي « الاحرار » والفكر الذي تحمله ... ولا اظن السيد كشلي يخالفني الرأي بأن النظرة الذاتية للامور هي ليست نظرة بروليتارية صحيحة !!

وقبل ان انتهي بحثا، ولكي ابرز من جهتي بعض الفقرات والاستشهادات التي توضح حقيقة ملامح الفكر القومي البورجوازي الذي تمثله « الاحرار » اريد ان اذكر السيد كشلي بحاجة بسيطة ولكن لها مدلولات هامة ربما تساعده في التمييز بين ملامح فكره القومي السابق وبين الفكر القومي التقدمي الذي تمثله « الاحرار ».

> « ان ما يشكل خطرا على الامة العربية هو كيان اسرائيل كدولة لا وجود اقلية يهودية في الوطن العربي، وان التعجيل في النضال التحرري والوحدوي وتحقيق خطوات سريعة وحية في هذين المجالين يقطع الطريق على اطماع الاستعمار في استخدام اسرائيل واطماع الصهيونية العالمية في استخدام الاستعمار للمحافظة على اسرائيل وتوسيعها . والتعجيل في النضال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الاقلية اليهودية من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب، كما يزيل او يضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدرار عطف الشعوب الحرة والطبقات الشعبية على اسرائيل كدولة يراد لها ان تكون ملجأ لشعب مضطهد ولشعب راق متقدم قد يحمل بذور التقدم الى الاقطار المجاورة . واخيرا . فان اصرار العرب على اتجاههم الانساني في المجال الدولي، وتعاونهم مع الشعوب الاخرى في سبيل توطيد السلم والتقدم الاشتراكي لجميع الشعوب، كل هذا يساهم في ازالة اسباب التعصب العنصري والديني ويساهم الى حد ما في حل هذه المشكلة » .
>
> ميشيل عفلق سنة ١٩٥٧

■ هل يعتبر الحل السلمي للمسألة الكردية دليلاً على التعصب والفاشية!

■ التنظيم القومي للكفاح المسلح يمثل أعلى درجات الترابط بين تحرير فلسطين والثورة العربية

■ "ابتزاز الجهل" أسلوب قديم لاينفع إلا مع أنصاف المثقفين

ففي المنظمات القومية والوطنية التي كان يشترك بها القوميون العرب (وهم ابناء التجربة الفكرية للسيد كشلي) والبعثيون وهم (ابناء المدرسة الفكرية التي تنتمي اليها الاحرار) . كان دائما يظهر هتافان متمايزان !

القوميون العرب يهتفون : وحدة وثار وحرية.

والبعثيون يهتفون : وحدة وحرية واشتراكية . والحقيقة ان يرى السيد كشلي بوضوح معالم الفرق بين « الفكر القومي البورجوازي الصغير » الذي حمله لسنوات طويلة وبين الفكر القومي الثوري التقدمي الذي تحمله جريدة « الاحرار » .

وفي الوقت الذي كانت فيه المدرسة الفكرية لحركة القوميين العرب، والتي كان محرروه مجلة « الحرية » اعلامها وقادتها، ترفض التمييز بين اليهود والصهاينة منساقة مع المفاهيم العرقية والشوفينية، كان فكر حزب البعث الذي يريد السيد كشلي اتهامه بالتعصب القومي والفاشية يقول سنة ١٩٥٥ :

« فنحن احوج ما نكون الى مفهوم صحيح للعروبة نكشف فيه للعالم والحضارة والتفكير الانساني، القومية المتفتحة الاكثر خطرا علينا لانها تغذي الفروق بدلا من القضاء عليها » . (في سبيل البعث ص ٩١).

وحول المسألة اليهودية دائما فقد قال

فكر البعث منذ اكثر من ثلاث عشرة سنة (١٩٥٧) ما يعتبره السيد كشلي اليوم نتيجة « اعمال فكره » في الخمسين ... الخ ، فقد سبق الجميع اليه.

« ان ما يشكل خطرا على الامة العربية هو كيان اسرائيل كدولة لا وجود اقلية يهودية في الوطن العربي، وان التعجيل في النضال التحرري والوحدوي وتحقيق خطوات سريعة وحية في هذين المجالين يقطع الطريق على اطماع الاستعمار في استخدام اسرائيل واطماع الصهيونية العالمية في استخدام الاستعمار للمحافظة على اسرائيل وتوسيعها . والتعجيل في النضال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الاقلية اليهودية من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب . كما يزيل او يضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدرار عطف الشعوب الحرة والطبقات الشعبية على اسرائيل كدولة يراد لها ان تكون ملجأ لشعب مضطهد ولشعب راق متقدم قد يحمل بذور التقدم الى الاقطار المجاورة . واخيرا . فان اصرار العرب على اتجاههم الانساني في المجال الدولي، وتعاونهم مع الشعوب الاخرى في سبيل توطيد السلم والتقدم الاشتراكي لجميع الشعوب، كل هذا يساهم في ازالة اسباب التعصب العنصري والديني ويساهم الى حد ما في حل هذه المشكلة » .

(في سبيل البعث ص ٢٤١).

فهل يستطيع السيد كشلي الآن ان يدلنا على مواضع التعصب القومي، والفاشية في كل هذا الكلام ؟!

وهل هذا التحديد الواضح عن الترابط بين تحرير فلسطين والنضالات الوحدوية والتحررية والاشتراكية هو مجرد « شعارات شبابية عمومية » ؟!

ثم ان الاعتراف بالحقوق القومية للاكراد وانهاء المشكلة الكردية في العراق في اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ على يد « ممثلي الفكر القومي البورجوازي الصغير » في القطر العراقي هو دليل على التعصب القومي المتخلف « اللاانسانية » ؟!

اما الناحية الثالثة التي يتجلى فيها ابتعاد السيد كشلي عن الموضوعية فهي حديثه عن عجز ما يسميهم « ممثلي الفكر القومي البورجوازي الصغير » عن طرح المعنى الفعلي للارتباط بين معركة تحرير فلسطين ومعركة التحرير العربية الشاملة لانهم يكتفون بالعموميات والتجريدات والتاكيدات اللفظية ».

ان السيد كشلي لا يرى ان في قيام تنظيم قومي للكفاح المسلح، كجبهة التحرير العربية، يجسد نضاليا وفكريا وتنظيميا المعنى الفعلي للارتباط بين معركة تحرير فلسطين ومعركة التحرير العربية الشاملة اكثر من الاكتفاء بالعموميات والتجريدات والتاكيدات اللفظية.

ان هذا التنظيم القومي يمثل بالتحديد اعلى درجات الترابط بين معركة التحرير الوطني في اي قطر وبين معركة التحرير العربية، لان هذا التنظيم الثوري بصفته عاملا ذاتيا مؤهلا من حيث تركيبه الفكري والخلقي والتنظيمي لفتح طريق التطور في المرحلة التاريخية المناسبة واسقاط الدور القيادي للبورجوازية الصغيرة هو الذي يشكل الجسر المتين الذي تعبر عليه

الثورة دون انقطاع او ارتداد الى ضياع الشعب سواء من حيث ربطه الموضوعي بين مرحلة التحرر الوطني والوحدة القومية ومرحلة التحول الاشتراكي، ام من حيث ربطه النضال الوطني داخل القطر بالنضال الشعبي كلاحقة.

والهروب من هذا التنظيم كما فعل السيد كشلي ورفاقه هو تعبير عن عجز او نقص في الارادة الثورية ولجوء الى الطريق السهل في النضال. كما ان هذا الهروب الى منظمات قطرية هو انعكاس لاتجاه نحو التمزق في حركة الثورة العربية وافقاد هذه الحركة امكانيتها الوحدة المؤثرة في تنفيذ استراتيجية الثورة العربية التي تربط بين معركة التحرير في القطر ومعركة التحرير العربية الشاملة. وبالتأكيد لا يستطيع السيد كشلي ان يباهي بأن منظمة الاشتراكيين اللبنانيين هي القادرة على طرح المعنى الفعلي للارتباط بين معركة تحرير لبنان ومعركة التحرير العربية، ولا يجوز بالتالي ان عجز عن اقامة تنظيم قومي ثوري ان يتهم الاخرين (امثال هذا التنظيم) بالعجز عن طرح المعنى الفعلي للارتباط بين معركة تحرير فلسطين ومعركة التحرير العربية الشاملة.

والسيد كشلي لا يرى كذلك بأن كل ما اورده عن هذا التحديد قد سبق وان ورد وبشكل اكثر تفصيلا في كتابات « الاحرار » او نشرات جبهة التحرير العربية.

يقول السيد كشلي محاولا التحديد :

« ان الانتصار في معركة تحرير فلسطين لا يمكن ان يحدث بمعزل عن الانتصار في معركة التحرر العربي من المصالح الامبريالية وهذه المعركة الاخيرة هي في حقيقتها معركة لتصفية الطبقات السائدة المرتبطة وجوديا بالسيطرة الامبريالية ».

الم تردد جبهة التحرير العربية « والاحرار » هذا الكلام عشرات المرات ؟ بل ان جبهة التحرير العربية اعتبرت هذا الترابط هو الجوهر المستهدف بالمؤامرة التي تحاك حول العمل الفدائي والثورة العربية في فلسطين بقصد خنقه وتحريفها.

يقول البيان السياسي لجبهة التحرير العربية موضحا :

وكان هذا دوما ملحق الجماهير العربية والانظمة العربية الرجعية سواء بالنسبة لقضية فلسطين او بالنسبة لاي ثورة عربية وقد نطق هذا الشعور وما يزال يتضمنه حتما الشهادة داخل كل قطر ويرفض الاعتراف بسلالة الغزو الصهيوني وقامة دولة اسرائيل بالاوضاع الداخلية للاقطار العربية وبارتباطات الانظمة الرجعية بالاستعمار.

ويقول البيان السياسي حصا ان الانظمة العربية كما كانت سببا لا تريد ان تترك الثورة العربية في فلسطين تشق اليها والى اوضاعها الاجتماعية والسياسية وهي لذلك تستخدم نصر القضية بالفلسطينيين كالشعوب يحوله الى شعب من شعبها لمصالح هذه الثورة.

ولا تختلف بعض الانظمة العربية التقدمية وبعض الحركات اليسارية في الوطن العربي عن الانظمة الرجعية من حيث تخلفها في قضية فلسطين الا بالكلام والمرحلية والنضج الثوري وهي في تجريدها الرائدة من تحريفها في هذه اليسارية على سكونها الثوري، والتعبير عن هذا الارتباط العضوي بين قضية فلسطين وبين الوحدة، وتسليمها مواقع الثورة، والسياق الشمولي هو التعبير عن هذا السكوت.

فهل يعتبر السيد كشلي هذا الكلام في نطاق العموميات، وهل استطاع بتحميلته ان يتقدم خطوة واحدة على هذا الكلام ؟!

وحين يتحدث عن رفض « الفكر الفلسطيني البحت » لطرح مسألة الطبقات في معركة التحرر الوطني الفلسطيني وبالتالي عجزه عن طرحها ايضا على صعيد معركة التحرر العربي ضد الامبريالية. يتجاهل ما سبق ان طرحته جبهة التحرير العربية بشكل مفصل في ندوة الجامعة الامريكية من ان المنظمة القطرية هي التي تسمح برفض طرح مسألة الطبقات.

يقول ممثل جبهة التحرير العربية :

منظمة بهذا المعنى تجمع الشعب الفلسطيني بكافة طبقاته لا يمكن الا ان تحمل في طياتها تصورا مبسطا بالاضافة الى كل الاخطار الناتجة عن اليمينية. ولا تمثل هذه المشكلة التجمعات العسكرية نحو التطرف اليساري ما دامت تحصر نفسها في النطاق القطري . اذ تقع هذه التجمعات المتطرفة في مواقف غير واقعية او تنادي بتطلع طبقات غير كافية من شعب محدود وفي معركة تتطلب امكانيات كبيرة.

ان الاطار الوحيد الذي يمكن ان تطرح فيه القضية الشعبية بكل ابعادها ومعالمها هو الاطار القومي. اذ لا يمكن ضرب الطبقات الرجعية والمتاجرة من المجتمع اي خسارة حقيقية في امكانيات معركة التحرير. اما في الاطار القطري المحدود فاما ان تجمع الشعب كله، وهذا خطأ فادح واما ان تفرض مسألة تحرير ما يشبه الانسلاخ عن قضية الصراع داخل شعب صغير.

وهذا الاستنتاج حصر واسع على المسيرة النضالية للثورة.

واذا نتحدث عن تحرير فلسطين لم نقصل عن هذا المحتوى الثوري ضمن التركيب الطبقي والاجتماعي والسياسي

السائد في البلدان العربية، يتجاهل ان جبهة التحرير العربية قد اوضحت المحتوى الثوري لدور الطبقات الكادحة في قيادة المسيرة الكفاحية في بيانها السياسي حين تقول :

« والاشتراكية هنا الكفاح هي وضعها القادرة على تعبئة جماهير الشعب العربي الكادحة وضمان تعبئتها ديموقراطيا وتنظيمها وامكانياتها مقابل استغلال الطبقات والمؤسسات والانظمة المرتبطة تاريخيا بمصالح الاستعمار وتحريرها السياسي والاقتصادي والتحرري من الاحتواء الثورية التي يولدها الكفاح المسلح في فلسطين والمحيط بالمنطقة عند ابدا خطوة تغييرها تفرضها الحاجة الى رفع مستوى المساهمة لهذا الكفاح . ان هذه الطبقات تتحول ضد الثورة اما بالمجابهة المباشرة او بالتسلل بها وبتشتيتها امتصاصا لسريتها ومنعا لاستمرارها وتعطيلا لسيرتها الطويلة.

والاشتراكية هي السبيل لفك القيادة في يد الجماهير الكادحة صاحبة المصلحة الاولى والمصلحة الاخرى في ايصال هذا الكفاح الى مستوى الحرب الشعبية ».

واذا تكشف السيد كشلي ان الفكر الفلسطيني البحت مقصر لانه يعتبر ان الجبهة العربية المساندة، محققة في حدود الانظمة والحكومات القائمة ويعتبر هذا التفسير دليلا على فقدان الترابط بين حركة تحرير فلسطين وحركة التحرير العربية، يتجاهل ايضا ان جبهة التحرير العربية هي اول من طرح مخاطر الانحراف بطرح الجبهة العربية المساندة وطالبت بالانتقال الى مستوى جبهة تحرير عربية سواء في بياناتها السياسية او في سائر نشراتها لا سيما مقالة « من الجبهة العربية المساندة الى جبهة التحرير العربية » التي نشرتها مجلة الثائر العربي في شهر اب ١٩٦٩، وتضمنها كتاب « الطريق القومي لتحرير فلسطين » الذي صدر حديثا عن جبهة التحرير العربية.

ان غياب الموضوعية في مقالات السيد كشلي التي تجلت في النواحي الثلاث المذكورة سابقا، لا يدل على الاطلاق عن ابتعاده في هذه المقالات عن المنهج العلمي في فهم الامور وتحليلها وربطها ببعضها البعض.

وموضوع العلمية هذا هو الذي سيكون مدار بحث الحلقة القادمة من نقاشنا مع السيد محمد كشلي.

طارق احمد

جبهة التحرير العربية □